مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص٥٣-٧٣، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

دراسة نقدية لمؤلفات مختارة في الصرف

فاتن خليل محجازي

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأحساء،

الأحساء، المملكة العربية السعودية

(قُدم للنشر في ٢٦/ ٥/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ٢٦/ ١٠/ ١٤٣٧هـ)

الكلمات المفتاحية : الصرف التعليمي، بنية الكلمة، اللغة المنطوقة، الخطاب، كلمات غريبة.

ملخص البحث: يتطلب الخطاب التعليمي توجيه لغة مناسبة من واقع العصر الذي أُنتج فيه هذا الخطاب، حتى يتمكن من توصيل رسالته إلى المتعلِّم، وهي نقل المعرفة وزيادة رصيده منها، أمَّا استخدام لغة من عصر آخر فيها الكثير من المنقرض ومحدود الاستعمال ومنحط الدلالة إلى مرتبة العامي؛ فهو تغريب يحرف الرسالة عن هدفها؛ بل يؤدِّي إلى عكس النتيجة التي يتوخّاها الخطاب، هذا ما أدركه اللغويون العرب القدماء في القرن الثاني الهجري فعلّموا بلغة حية مسموعة، وأشاروا إلى ما هو غير مستعمل أو محدود الاستعمال، أو لا يرقى إلى الفصيح.

اليوم؛ نجد الخطاب التعليمي النحوي والصرفي بلغة لا يعرفها المتلقّي (نستثني نحو النص) وهو لا يملك الإستراتيجية المناسبة للوصول إلى الهدف؛ لأنَّ إنشاء الخطاب اعتمد على لغة غريبة مأخوذة من الكتب ولا يبين السياق الاستعمالي الذي وردت فيه، كما أنَّ كثيرًا من الاستعمالات لم تعد موجودة، يتضح هذا في دراستنا لموضوع الصرف في بعض الكتب التعليمية، الذي يتناول بنية الكلمة وما يطرأ عليها من تغيير، حيث تكثر الأمثلة الغريبة والميّتة والثقيلة التي لا تناسب ذوق العصر ولا يمكن أنْ يألفها المتعلّم، ولا نستطيع إقناعه بضرورة دراستها، من ثَمّ فقد الخطاب الصرفي قدرته على التأثير، وأصبحت الحاجة ملحّة لتطويره أو إعادة إنشائه ضمن الأوضاع التاريخية والاجتماعية والثقافية وكل ما يدخل مع اللغة بعلاقة، اللغة المنطوقة المستعمل بالفعل.

إنَّ إعادة إنتاج الخطاب التعليمي الصرفي – على الأرجح – هي القادرة على إخراج الصرف التعليمي من أزمته التي يعيشها اليوم، والتي نناقشها في هذا البحث.

Critical Study For selected Writings In Morphology

Faten Khalil Mhjazi
Assistant Professor, Arabic Linguistics, Saudi Arabia

(Received 26/5/1437H; Accepted for publication 26/10/1437H)

Keywords: morphology, structure of the word ,spken language, morphological discourse, foreign language**.**

Abstract: Educational discourse requires the directing of an appropriate language emergent from the time its speech is produced; this ensures that the learner will understand the discourse's required messages in tandem with increasing and transferring his/ her knowledge.

The use of a language related to another era, with a lot of extinct, limited, and common usage of denotations, will result into misrepresenting the message required and ultimately inverting the envisaged goal by the discourse. This fact was well perceived by the ancient Arab Linguists who, in the 2nd century AH, used an audible live language; they alluded to the non-used and limited-used denotations in addition to the ones that do not match the modern standard Arabic.

Today, the educational, grammatical, and morphological discourse is found in a language that is not known to the recipient (with the exception of the grammar of text). This discourse lacks the appropriate strategy to achieve the goal required as it is dependent on a foreign language taken from various books. Also, such a discourse does not show the proper context used as it may sometimes contain words that are no longer existing.

All the above points are evidently shown in our study of the subject of morphology which, in some educational books, deals with the structure of the word and changes it has undergone; so many unfamiliar, dead, and uninteresting examples are there. Such examples, indeed, don't fit the spirit of the modern age and are incapable of convincing the familiar learner to know them. As a result, the morphological discourse has lost its effect on the learner.

Recently, there has been a growing urgent need to develop or re-create the educational discourse according to the historical, social, and cultural circumstances that have relation with the spoken language used.

In these days, the reproduction of educational morphological discourse is probably capable of solving the crisis experienced by morphology; this is what we discuss in this paper.

morphology, structure of the word, morphological discourse, foreign language .

تمهيد

يعيش الدرس الصرفي العربي مشكلات حقيقية؛ سببها الاعتماد على لغة مكتوبة في عصر غير عصرنا، في حين يجب فيه التعامل مع لغة منطوقة مكونة من أصوات مستعملة؛ كما فعل أجدادنا في القرن الثاني الهجري، فنحن ندرس أبنية لغة غير التي ننطق بها، وننسى مكونات اللغة الصوتية التي تفسّر ما يطرأ على البنية من تغيّرات.

هذه المشكلات سبّبت إرباكًا للمتعلّم أحسّ به الباحثون، فاستعرضوها وناقشوها واقترحوا حلولًا لها لتيسير تعليم هذا المستوى المهم من مستويات اللغة، ولعل بحث الدكتورة نسرين العلواني "البحث الصرفي في الدراسات اللغوية الحديثة" (العلواني،٢٠٠٣م.) أكثرها اتساعًا، وما وصلت إليه تعرضه بقولها: "فقد توصَّل البحث في هذا الموضوع إلى أنَّ هناك ثلاثة اتجاهات للباحثين المحدثين العرب لدراسة الصرف العربي القديم، وعني الاتجاه الأول في الدراسات الصرفية التيسيرية التعليمية وكان له بُعدان، أحدهما تعليمي والآخر نظري. ولم يُقدِّم هذا الاتجاه جديدًا إلى الصرف العربي، فالقواعد هي هي كما ورثناها، والأمثلة لم يصبها من التجديد إلَّا نصيبٌ ضئيل، إذ اقتصر الباحثون في هذا الاتجاه على اختصار القواعد والشروح والتعليقات وحذفها، واستعمال الأسلوب السهل البسيط، وهذا ليس تيسيرًا بالمعنى العلمي الدقيق، إذ إنَّ التيسير يكون بعرض جديد للموضوعات الصرفية القديمة، كما أنَّ محاولات التيسير تلك تجاوزت وصف اللغة إلى مسّ حقائقها وجوهرها وخصائصها؛ ولذلك أُخرجتْ من بحوث علم اللغة الحديث" (العلواني، ٢٠٠٣م. هـ.).

ومع أنَّ هذا الاتجاه لم يقدم جديدًا للدرس الصرفي العربي، فهو المسيطر على المناهج التعليمية في المشرق العربي، وفي دراستنا هذه محاولة للبحث عن الخلل المنهجي الذي طرأ على هذا الاتجاه، إذْ ننظر إلى الموضوع من منظور آخر نأمل أنْ يكشف الجديد، ونحن نعتقد أنَّ المنظور التداولي البراغماتي سيكون أكثر قدرة على رؤية الخلل؛ لأنَّه يُسلط الضوء على علاقة اللغة بمستعمليها.

لقد انتقل إلينا الصرف في القرن الثاني بإيجابياته وسلبياته فأخذنا الأخطاء وتمسكنا بها وتركنا الركائز السليمة التي يمكن أنْ تؤسس لصرف تعليمي نموذجي، وفي هذه الدراسة سنهتم ببعض الموضوعات الصرفية التي تتمثل فيها مشكلات الصرف العربي التعليمي اليوم، وهي: موضوع الأفعال الجامدة، وموضوع أبنية كلام العرب، وموضوع جموع التكسير، وذلك كما تقدمها كتب تدرس الصرف في بعض الجامعات العربية كـ: كتاب شذا العرف في فن الصرف للأستاذ الشيخ أحمد الحملاوي (الحملاوي،١٩٥٣م.) وكتاب الصرف للأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن (نسخة إلكترونية دون تاريخ) وكتاب (الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم) للدكتور محمود سليمان ياقوت (١٤٢٠هـ.)، والمستقصى في علم التصريف للدكتور عبداللطيف محمد الخطيب(١٤٢٤هـ).

والمستقصى أضخم هذه الكتب، حيث تبلغ عدد صفحاته(ألفًا ومئتين وأربعًا وسبعين صفحة)، لذا كان النموذج الأوضح والأغنى للمؤلّفات الصرفية المعاصرة، كما فيه أيضًا من الأمثلة ما لم يورده الحملاوي، والضامن، وياقوت.

موضوع الجامد والمتصرف من الأفعال:

الفعل الجامد: هو ما لازم صورة واحدة، وهو شبيه بالحرف، لا يتحوّل من حال إلى حال، ولا من صيغة إلى أخرى، والعلة في ذلك أنَّه لا يتعلّق بالزمان، ولا يراد به الحدث (الخطيب،٢٠٠٣م. ١٢١)، وعندما صنَّف اللغويون العرب القدماء الأفعال ذكروا الأفعال التي يستخدمونها في حياتهم اليومية، أمَّا كتب الصرف التعليمي اليوم فتذكر ما استعمله القدماء دون تدوين ملاحظة كان يضعها القدماء دائمًا إلى جوار اللفظ عندما يحتاج الأمر إلى ذلك من مثل، نادر، شاذ، ميت، وفي هذا الموضوع يجب على الطالب اليوم أن يدرس: ما جمد على صورة الماضي: (كرب، وحرى، واخلولق، وعلق، ونَكِرَ، وهدّك، وهمّك، وعَمَر، ولهدَّ) وجاء بمعنى صار، وقعد بمعنى صار، ومـمَّا جمد على صورة المضارع:

(يهيط، وأهَلُمُّ، وأهاءُ، ويسوَى)، وهذا ما ورد في المستقصى الذي أوقع نفسه في التناقض عندما وضع (هلمَّ) مع الأفعال الجامدة على صورة الأمر بعد أنْ وضع (أهلُمُّ) مع الجامد على صيغة المضارع (الخطيب، ٢٠٠٣م، ١٢٧ و١٣٠).

وفي موضوع أبنية المجرد والمزيد تأتي هذه الأفعال:

من أمثلة الرباعي اللازم:

بَرْهَمَ الرجل إذا أدام النظر وأسكن طَرْفَه، ودَرْبَحَ الرجل: طأطأ رأسه وبسط ظهره (الخطيب ٢٠٠٣م، ٢٨٧).

ومن المنحوت: بأبأْتُ الصبيَّ: إذا قلت له بأبي أنت وأمّي (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٨٨).

ومن المزيد بثلاثة أحرف: افعالَّ: بزيادة الألف في أوّله، والألف بعد عينه، وتكرار الحرف الأخير مدغمًا، ومن أمثلته احمارَّ...(الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٤، والضامن، ٢٠١٠ م، ٥١، وياقوت،١٩٩٩م، ٨٣).

افعوَّل: بزيادة الألف أوّل الفعل والواو المضعّفة بعد عينه نحو: (اجلوَّذ، واعلوَّط) (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٥-والضامن٢٠١٠م، ٥١-وياقوت١٩٩٩م، ٨٣).

ومن الرباعي المزيد بحرفين: افْعَنْلَل: وذلك بزيادة الألف في أوّله، والنون بعد العين ومثاله: (احْرَنْجَم، وابرنْشق، وافرنْقَع)، (الخطيب ٢٠٠٣م، ٢٩٥). ومن الملحق بالرباعي: فَوْعَل: ومثّل له بـ: (رَوْدَن، وهَوْجَل، وكَوْدَن) (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٧) ، ولفَعْوَل جاء بـ(رَهْوَكَ)، (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٨) ، وفَعْيَل مثّل له بـ(رَهْيَأ)، (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٩)، وفَنْعَل مثل له بـ(شَنْبَث)، وفَعْنَل مثّل له بـ(قلْنس، وشرْنَف)، وفَعْلى مثّل له بـ(سلقى، وقَلْسى)، (الخطيب،٣٠٠) ولوزن يَفْعَلَ (يَرْنأَ) (الخطيب،٢٠٠٣م، ٣٠٠) (الخطيب،٢٠٠٣م، ٣٠١).

كما أورد (ياقوت،١٩٩٩م، ٨٠) (يرنأ) ونستطيع أنْ نستخرج من بناء ملحق الرباعي المزيد بحرف أبنية لم ترد لها أمثلة في اللغة الفصحى المستعملة اليوم هي: تفَعْوَل: ومثاله: ترَهْوَك، وتَفَعْلى: ومثاله: تجعبى، وتسلقى،

وتقلسى (الخطيب،٢٠٠٣م، ٣٠٢، وياقوت، ١٩٩٩م، ٨٤-٨٥).

أمَّا الملحق بأبنية الرباعي المزيد بحرفين؛ فلا نجد لأيَّ بناء منها مثالًا مستخدمًا، وذلك لثقل البناء وطوله ولغتنا تنزع نحو التطور بالتخلص من الأبنية الثقيلة وفقًا لقانون اختصار الجهد العضلي فلا يناسب العصر: (افعَنلل)، الذي لم يأتِ عليه إلَّا (اسحنكك، واقعنْسس)، ولا (افْعَنْلى) الذي لم يأتِ عليه إلَّا (احرنبى واسنلقى)، (الخطيب،٢٠٠٣م، ٣٠٢، الضامن،٢٠١٠م، ٦٢، ياقوت،١٩٩٩م، ٨٥)، ولا (افعللّ) الذي مثَّل له الخطيب بـ(ابيضّض) فقط (ص: ٣٠٣و٣٠٤)، وإضافة إلى ثقل البناء الأخير لا يتناسب المكوِّن الصوتي مع المكوّن الصوتي لكلمات العربية الفصيحة التي لا يجتمع فيها ثلاثة أصوات مطبقة، أو مع قانون سهولة الاستعمال، الذي اكتشفه لغويو القرن الثاني الهجري. ومن أبنية الأسماء التي لم يذكر الدكتور ياقوت لها أمثلة مستخدمة (فِعْلِل) حيث يمثّل للبناء بزِبْرِج، وزئْبِر ودِعْبِل ومن الصفات: زِهْلِق، وعِنْفِص، وعِرْبِد (ياقوت، ١٩٩٩م.ص: ١٦٣)، ومن أبنية الأسماء الخماسية المجردة المنقرضة في الصرف التعليمي ما جاء في بناء (فَعْلَلِل)، حيث ذكر: صهصلق، كما ذكر من الصفات جَحْمَرِش، وقَهْبَلِس (ياقوت، ١٩٩٩م.ص: ١٦٥).

وبناء فِعْلَلّ: ومثل له بـقِرطعب من الأسماء، وجِرْدَحْل من الصفات (ياقوت، ١٩٩٩م.ص: ١٦٥).

ومن الثلاثي المزيد بحرفين في الصرف التعليمي:

١- أُفاعِلٌ: أُباتِر.

٢- أَفاعل: أجادِل.

٣- أَفنْعَل: أَلَنْجح.

٤- يُفَعّل: يُرَنَّأ.(ياقوت، ١٩٩٩م. ص: ١٧٠):

ومن المزيد على الخماسي جاء في المستقصى " ومن أبنيته ما يأتي:

- فَعْلَليل: الاسم: سلسبيل، خندريس، عندليب، زيادة الياء.

الصفة: دردبيس، علطميس.

- فُعَلّليل: الاسم: خُزَعْبيل.

الصفة: قُذَعْميل.

- فَعْلَلول: ولم يجيء إلَّا اسمًا وأمثلته: "عضرفوط، قَرْطَبوس، يَسْتَعور. زيادة الواو." (الخطيب،٢٠٠٣م، ٦٤١).

كما جاء في المستقصى: " فَعْلَّى: وهو قليل، ولم يجيء إلَّا صفة، ومثاله: قَبَعْثَرى، ضَبَغْطَرى. الألف زائدة لتكثير الكلمة وليست للتأنيث" (الخطيب،٢٠٠٣م. ص٦٤٢).

وكما نلاحظ لا يوجد إلَّا مثالانِ مستعملانِ اليوم هما: سلسبيل وعندليب، فلا جدوى من تعليمها للطالب، ولا نعتقد أنَّ ذاكرة الطالب ستحتفظ بـ (خِدَبّ، وجُرْشَع، وعُنْدَد، وعوطَط، وعَثَوْثَل، وعَقَنْقَل، وحَبَرْبَر، وقَهْبَلِس، ونَخْوَرِش)، (الخطيب، ٢٠٠٣ م. ص ٦٤٤) أو:(إرْدَبّ، وإنْقَحْل، وإدْرَوْن، وحَبَوْكَر، وحَبَوْنَن، وقَرَبوس، وحَلكوك، وقَمَحْدُوة، وتَخْرَبوت)، (الخطيب ٢٠٠٣م. ص ٦٤٥)؛ لأنَّ الألفاظلا تنتمي إلى الحقول المفهومية التي تنظم الذاكرة فتبقى الكلمات بعيدة عن الإدراك.

أمَّا الصفحتان (٦٤٦و ٦٤٧) في المستقصى فلا نجد فيهما من المستعمل إلَّا: قرطاس وعنكبوت، وقد أغرق الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب في إغرابه وتغريبه، فإذا كنَّا نعذر الشيخ أحمد الحملاوي الذي ألَّف كتاب (شذا العرف في فن الصرف)، منذ مئة وخمسة وعشرين عامًا، فنحن لا نستطيع أنْ نبرر للدكتور الخطيب هذه الأمثلة الوحشية اليوم، ومع ذلك فإنَّ ما جاء به الشيخ الحملاوي من الغريب قليل بالنسبة إلى ما جاء به الدكتور الخطيب.

والسؤال هل وردت هذه الاستخدامات في المعاجم التي حرصت على تهذيب اللغة وانتقاء الفصيح كجمهرة اللغة لابن دريد وتهذيب اللغة للأزهري؟ وقبل ذلك هل كانت تعد فصيحة في زمن الاحتجاج؟ ماذا قال فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي؟ هل وردت في قراءة من القراءات القرآنية تسوّغ دراستها؟ متى ظهرت؟ متى اختفت من الاستعمال؟

ونبدأ بما صُنف ضمن ما جُمد على صورة الماضي، يكتفي المستصفى بذكر كرَب بفتح

العين وكسرها مع أفعال المقاربة ولكن (الخطيب،٢٠٠٣م، ١٢١)، لم يضع (كرب) في سياق استعمالي، وفي تهذيب اللغة: "كرب يكرُب وكل شيء دنا فقد كَرَبَ" (الأزهري٢٠٠١م: ٤/ ٣١١٩).

كما لا يملك شاهدًا على كون (حرىً واخلولق) من أفعال الرجاء (الخطيب،٢٠٠٣م، ١٢٢). وربما لا تكون (حرى) فعلًا بمعنى الرجاء وإنَّما صفة، فقد "قال الليث: الحرى: الخليق، كقولك: حرى أنْ يكون كذا، وإنَّه لحريٌّ أن يكون ذاك، وأنشد..." (الأزهري٢٠٠١م، ١/ ٧٩٩)، (الفراهيدي: ٣/ ٢٨٦). ونحن لم نعثر على ما يشير إلى كون (اخلولق) من أفعال الرجاء، فلم نجد (اخلولق) إلَّا في عبارة (اخلولق السحاب إذا استوى كأنَّه مُلِّس تمليسًا)، في كتاب العين، وجمهرة اللغة، وتهذيب اللغة (الفراهيدي: ٤/ ١٥١) (الأزهري٢٠٠١م :١/ ١٠٩٤).

وجاء في كتاب العين: " عَلَق فلانٌ يفعل كذا" بمعنى: صار، (الفراهيدي ١٤٠٥هـ: ١/ ١٦٢) جملة مقطوعة عن السياق، وهو ما ورد في تهذيب اللغة (الأزهري:٣/ ٢٥٤٨). ولم يذكر الخليل (هدّ، ولهدّ، وهمّكَ) في حرف الهاء/ الثنائي/ الهاء مع الدال، والهاء مع الميم. (الفراهيدي ١٤٠٥هـ: ٣/ ٣٤٧، ٣٥٧).

كما أنَّه لم يذكر لـ(قعد) معنى (صار)، (الفراهيدي١٤٠٥ه: ١/ ١٤٢). أمَّا الأزهري فقد ذكر استخدام العرب لـ(قعد) بمعنى(صار): " تقول العرب: قعد فلان يشتمني، وقام يشتمني، بمعنى (طفق) "، واستشهد الأزهري برجز لبعض بني عامر (الأزهري ٢٠٠١م: ٣/ ٣٠٠٤). وهذا استعمال لهجي غير فصيح، وقد بقي في اللهجات الشامية حتى اليوم، فإذا عرفنا أنَّ بني عامر سكنت وفقًا لكحالة في (معجم قبائل العرب) في العراق يعني على أطراف شبه الجزيرة العربية (كحالة، ١٩٩٧م، ٥/ ٨) أدركنا أنَّ هذا الاستخدام ضعيف لا يعتد به.

وذكر المستقصى (عَمَرْتُكَ الله) بمعنى أسأل الله تعميرَك، وقد أورد الأزهري: (عَمْرَكَ اللهَ لا أفعل كذا) نصب على معنى (عَمّرْتُكَ اللهَ) (الأزهري: ٣/ ٢٥٦٥) فلا بدَّ من تشديد عين

الفعل، على كل حال لم تعدُّ العبارة مستعملة اليوم، كما أنَّه يقوي كونها قد انقرضت الجهل بحقيقة معناها في القرن الرابع الهجري إذ يقول الأزهري: "ويُقال بأنَّه يمين بغير الواو" فإذا في القرن الرابع كانت منقرضة مجهولة الاستعمال.

أمَّا في الجامد على صور المضارع فمنه (يهيط) مقرون استعمالها بـــ(يميط) في عبارة قد انقرضت، جاء في العين: "يقال: مازال بينهم الهِياط والمياط، ومازال يهيط مرة ويَميط أخرى حتى فعل كذا وكذا. يريد بالهياط: الدُّنوّ، وبالمياط: التباعد، والهياط أميت تصريفه إلَّا مع المياط في هذه الحال" (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ٧٦). ولم يذكر الأزهري (يهيط).

أمَّا (أهاء) فقد أورد الدكتور الخطيب صيغة الأمر منها أيضًا وصنفها جامدة على صيغة الأمر (الخطيب،٢٠٠٣م، ١٣٢) بعد تصنيفها جامدة على صورة المضارع (الخطيب،٢٠٠٣م، ١٢٧)، وجاء في كتاب العين أنَّ (يسوى) مولّدة (الفراهيدي: ٧/ ٣٢٦). وكون يسوى (مولدة) يفقدها الاحترام. ولم ترد (أهلُمُّ) في كتاب العين (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ٥٦).

في موضوع الأبنية:

أمَّا في موضوع الأبنية فلم ترد (دربح) في الرباعي مما يعني – على الأغلب-أنـَّها لم تكن موجودة في زمن الاحتجاج، وقد أورد الأزهري في القرن الرابع (دربح، ودلبح، ودربخ)، (الأزهري: ٢/ ١١٦٧). ولا ندري أيُّها الصحيحة، ويمكن أنْ نقول: هي ألفاظ ميتة اليوم. وكذلك (شنبث)، وقد ذكر اليُرَنّاء أيْ: الحنّاء (الفراهيدي١٤٠٥ه: ٨/ ٢٧٨) ولم يذكر الفعل (يَرْنَأَ) وعنده (اليُرَنّاء: الحنّاءُ) أمَّا الفرّاء فروايته (اليُرَنَّأُ) بالقصر (الأزهري ٢٠٠١م:٤/ ٣٩٧٩)، وقد اختار الدكتور الخطيب القصر، وهما لهجتان.

ولم نجد (ألنجح) في كتاب العين ولا (قُنْفَخْر) وضبط كتاب العين (شِمَّخْر) بكسر الشين وضمها (الفراهيدي١٤٠٥ه:٤/ ٣٢٣)، ومن الألفاظ التي لا نجدها في تهذيب اللغة – يعني يمكن أنْ نعدها قد ماتت قبل القرن الرابع الهجري (قُنْفَخْر، قِرْطَبوس، عِلَّكْد بتشديد اللام، عِربِد، تقلسى، قرطعب) ونتساءل عن وسيلة الحجاج المناسبة لإقناع

الطالب بأهمية (جُخادِب، ودردبيس، وعَلْطَميس، وقُذَ عْميل، وعضرفوط، وابيضّض، واحمارّ، واحرنبى، وترهوك، وعرطليل، وخيسفوج، وحندقوق ومثيلاتها)، هذا ما لا تجيب عنه كتب الصرف التعليمي اليوم.

بل يمكن القول: إنَّ هذه الألفاظ الغريبة لم ترد في أي قراءة قرآنية صحيحة كانت أم شاذة انظر:(ابن جني، المحتسب مثلًا، أو ابن الجزري، النشر في القراءات العشر).

إنَّ استعمال الغريب يحتاج إلى كثير من الدقة، ويحتاج إلى بنائه ناطق اللغة للتمكن من المصطلحات التي تقرّها المؤسسات اللغوية والتي تعتمد عليها -إلى جانب الأبنية المشهورة -في صياغة المصطلحات المتكاثرة بطريقة تناسب ذوق العصر من المكونات الصوتية، أمَّا أنْ ترد بأخطاء بالضبط فإنَّها تحرف المدرِّس عن الهدف التعليمي، وتنفّر الطالب الذي يحتاج إلى أوزان صحيحة مستعملة، يطبقها في لغته اليومية ويفهم من خلالها لغة القرآن الكريم.

في موضوع جموع التكسير في اللغة:

وفي جموع التكيسير في اللغة، ما الذي يقنع الدارسين أنَّ: (أَفعُل، وأفعال، وأفعِلة، وفِعْلة) جموع قلّة وهم يرون البناء يستخدم للقلة والكثرة، وكذلك جموع الكثرة المختلفة قد يستخدم الجمع الواحد للقلة والكثرة في الوقت ذاته، ومن أمثلة ذلك:

سبَب السبب: الحبل وما يتوصل به إلى غيره: ج: أسباب فقط.

عَضُد جاء أيضًا: عُضُد، وعَضِد: في الجمع أعضاد: أفعال فقط.

جُنُب الجار الجنب بضمتين: جارك من غير قومك في الجمع أجناب: أفعال فقط.

رُطَب في الجمع أرطاب، صيغة أفعال فقط.

إبِل في الجمع آبال، صيغة أفعال فقط.

زِمام في الجمع أزمّة، أفعِلة صيغة جمع وحيدة.

كِساء في الجمع أَكسية، أفْعِلة صيغة جمع وحيدة.

كذلك لا نجد إلا صيغ كثرة لكل اسم رباعي مؤنث تأنيثًا لفظيًا أو معنويًا إذا كان الحرف الثالث ألفًا ممدودة مثل: سحابة: سحائب، وسُحُب، رسالة، رسائل، ذؤابة: ذوائب، صحيفة: صحائف وصُحُف.

وكيف يتعامل مستعمل اللغة مع جمع القلة في القرآن إذا دلّ على الكثرة في السياق الذي ورد فيه أو على العكس؟ كما في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة:٧].

فصيغة (فَعالي) اقترنت بالعدد سبعة فأشارت إلى القلة وهي مصنفة من جموع الكثرة، وجاءتْ صيغة (فَعْلى) للكثرة لأنَّها مرتبطة بالقوم وعددهم غير محدود، والأعجاز(أفعال) في السياق تدل على الكثرة، في حين عدّت فيه خارج السياق للقلة، وإنَّ كثرة الأمثلة التي جاءت فيها (أفعال) دالة على الكثرة في القرآن الكريم تدفعنا إلى ترجيح (أفعال) صيغة جمع تكسير دالة على الكثرة كما في الآيات:

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾ [الغاشية].

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢﴾ [النبأ].

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ [النبأ].

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤﴾ [البقرة].

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يس].

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝١٩﴾ [المؤمنون].

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان].

من ناحية أخرى كيف يختار الطالب صيغة جمع التكسير عندما تتعدد الدلالة والدلالة واحدة؟ كأنْ تشير مجموعة من الصيغ إلى جمع كثرة من مثل:

غُراب: غِرْبان، وغُرْب، وغَرابين، ثَوْر: ثِيار، وثِيران، وثِوَرَة، عِماد: عَمَد، وعُمُد.

كل هذه الأسئلة لم يُجب عنها مؤلفو الصرف اليوم، ونجد في تناولهم لهذا الموضع الكثير من الاضطراب والتناقض، فالدكتور الضامن يجد "جمع التكسير كله بعيدًا عن القياس" (الضامن،٢٠١٠م، ٢٥٥). ومع ذلك لا

يستطيع أنْ يتخلص من قيد القياس فيقول في (أفعُل): ينقاس هذا الوزن في شيئين... ويجمع قياسًا عليه ما كان على أربعة أحرف... (الضامن، ٢٠١٠م. ص:٢٥٦).

وقد وضَّح الدكتور ياقوت أنَّ صيغة (أفعال) في القرآن الكريم لا تدلُّ على القلة، قال في الصرف التعليمي: "حين نقدم بعض الكلمات التي وردت على وزن (أفعال) في الكتاب العزيز لا نقصد بذلك أنَّها تدل على القلة أو الكثرة...." (ياقوت١٩٩٩م، ٢٨٢)، فاللغة النموذجية المنطوقة لا تضع قيودًا دلالية على صيغ جموع التكسير، وهذا ما يؤدِّي إلى الإحساس – على الأقل-بخلل ما في النص الذي تناول جموع التكسير في كتب التراث كما في الموضوعات الصرفية الأخرى. أمَّا أثر هذا في تدريس صرف اللغة العربية وتعليمه، فهو تغريبه عن الطلاب، والتعامل معه كجثة متحلّلة، في حين تعامل أجدادنا في عصر العلم مع لغة حيّة تتفاعل معهم ويتفاعلون معها، وقد كانت لديهم أخطاؤهم المنهجية، لكن كان لديهم منهج محدد وواضح مبني على استقراء لغة منطوقة مسموعة حيّة، وبدلًا من تصحيح أخطاء منهج القدماء، تداولنا الصرف كما وصلنا بعد التخلّص من إشارات منهجية مهمة جدًا كالإشارة إلى الميت والمتروك والشاذ والضعيف والغريب، والمهمل، ومسائل التمرين التي ربما لم ينطق بها أبدًا، فخلطنا ما هو من اللغة بمسائل التمرين.

والقدماء عندما حددوا هذه الأصناف من الكلمات كانوا يربطون ذلك بمعيار الفصاحة يعني: **يقولون للمتعلّم لا أهمية لهذه الأبنية أو هذه الاستخدامات، تجاوزْها**. فلا قيمة لورودها، بل إنَّ دراستها خطأ علمي على حساب المستعمل. ممَّا يفرض علينا إعادة قراءة الخطاب الصرفي الأول – زمن الاحتجاج- وتحليله ونقده، قبل أنْ نأخذ به، ونحن نقول: الخطاب الصرفي يعني رسالة لها أهدافها وإستراتيجيتها وأدواتها وسياقها.

أمَّا الرسالة فهي تعليم الصرف وتقويم اللسان الذي بدأ اللحن يتسرب إليه، وأمَّا الفئة المستهدفة فهي طبقة المتعلمين، وأمَّا شكل الرسالة فهو لغة منطوقة لأعرابي موجود في

الحلقة، أو شيخ سمع النطق الصحيح مباشرة، أو قراءة قرآنية، فهي مادة صوتية قابلة للملاحظة والاستقراء، وما أكثر عبارات السماع في مؤلفات القرن الثاني التي تشهد على ذلك.

في حين تكون الأدوات في: التلقين والإملاء.

أمَّا الاستراتيجية فهي مبنية على نماذج منطوقة، ومسائل تدريب، ومعايير تحدد الفصيح من غيره، والجيد من الرديء، والعوامل المؤثرة في اللغة المنطوقة.

أمَّا الخطوات التكتيكية فهي:

١- جمع اللغة من أفواه الناطقين الذين ينتمون إلى قبائل معينة اشتهرت بفصاحتها، في زمن محدد أطلق عليه فترة الاحتجاج.

٢-الاستقراء.

٣-تصنيف هذه اللغة وفقًا للموضوعات.

٤-اختيار الموضوعات الصرفية، وهنا نجد كثيرًا من المصنفات اتخذت البنية الصرفية عنوانًا لها.

٥-ملاحظة: كم البناء، ووظيفته، وبنيته الصوتية، ووجوه التشابه والاختلاف بين الأبنية في الشكل والوظيفة، وملاحظة حجم انتشار البناء، وملاحظة العلاقة بين الأبنية ذات الأصل الواحد...بالإضافة إلى مراقبة دور المكون الصوتي في تحديد البنية.

٦-استنباط القانون من الأكثر استعمالًا.

٧-عزل ما يتصل بقلة الاستعمال والإشارة إليه.

والسياق مجموعة الأوضاع التاريخية والاجتماعية والجغرافية التي أثرت في تكوين هذا الخطاب وإنتاجه وتوجيهه، فثمَّة ثورة فكرية كبيرة قد أثَّرت في المجتمع واللغة بنزول القرآن الكريم، وجغرافيًا قبائل متفرقة في صحراء مترامية الأطراف متفاوتة في مستوى انفتاحها على العالم الخارجي متفاوتة في حضارتها وذوقها وأساليبها اللغوية وعاداتها النطقية، والفتوحات الإسلامية قد خلقتْ حاجة شعوب غير عربية لتعلم لغة الدين الجديد، وجيل جديد من الناطقين بدأ اللحن يتسرب إلى لغته التي يمارس بها حياته اليومية، والمحافل الثقافية من مجالس علمية قد وضعت معاييرها للأفصح والأجود الذي يرقى بناطقه،

فطفتْ فكرة المستعمل والمهمل وما بينهما، وجرى اكتشاف العوامل الحيوية المؤثّرة في اللغة المستعملة والعلاقات بين البنية والأصوات المستعملة، والعلاقة بين خفة البنية وكثرة استعمالها، كما حصل اكتشاف البنية التشكيلية الصوتية المسموح بها في اللغة العربية، ونستشهد بما جاء في مقدمة كتاب العين من أنَّ بناء الرباعي لا يعرى من الحروف الذلق والشفوية، وليس في كلام العرب كلمة صدرها (نر) ... (الفراهيدي، ١٤٠٥ه،٥٣) كما ذكر في كتابه كثيرًا من التشكيلات المهملة لثقل النطق.

رُبَّما يكون هناك خلل باتساع المساحة المكانية وكثرة القبائل التي أخذ عنها، وكذلك في الشرط الزماني، فهو يمتد عبر مراحل زمنية متعددة لها حدّ واحد واضح هو نهاية زمن الاحتجاج، ووصفوا مساحة لغويّة متّسعة، وعميقة، ممَّا أوقعهم في الاضطراب، والتناقض أحيانًا، فاتّساع مساحة اللغة المنطوقة جعلها أكثر عرضة لعوامل التطوّر: العامل الخارجي نشط على الحدود، وفي الوسط؛ أدَّت عزلة الناطقين إلى تجميد صيغ معيّنة، في حين تطوّرت صيغ أخرى تطوّرًا خاصًّا بتأثير الفروق الاستعماليّة الصغيرة، والتي تؤدِّي دورًا في الابتعاد باللغة عن شكلها الأصيل.

هكذا تكوَّنت اللهجات العربيّة المتعدّدة، والتي تفاوتت في درجة التقارب وفقًا للمسافة التي تفصل بينها في الصحراء الشاسعة، ولا يمكن أنْ نعزو الظاهرة اللهجيّة إلى انفتاح المجتمع على المجتمعات الأخرى، أو انغلاقه- جغرافيًّا، وتاريخيًّا، وثقافيًّا- فحسب- كما لا يكفي – إضافة لذلك- العامل الزمنيّ، وإنّما هناك العامل النفسي، حيث تتباين مواقف الناطقين، فكثيرًا ما يؤدّي الإحساس بالتبعيّة والنقص تجاه المجتمعات الأخرى الأكثر تحضّرًا إلى التخلّي عن اللهجة الخاصة، أو اقتباس مفردات، وأساليب، وعادات نطقيّة جديدة، كما حدث للقبائل العربية التي كانتْ تشعر بتفوّق قريش الحضاري، وقد اعترف المجتمع القرشيّ المتحضّر آنذاك بقيمة اللغة الصحراويّة، وحاول أنْ يستغلّها دون مساس قواعدها ونظمها، لكن مع ذلك كان يختار من مادّتها ما يناسب ذوقه وميوله، حيث يؤدَّي الترف الحضاري إلى الميل

نحو السهولة، واختيار الأصوات المرقّقة والمهموسة، والبنيات اللغوية الرشيقة والمعاني الأكثر تجريدًا.

ثمَّة بنية نفسيّة مختلفة؛ إذن تؤدّي إلى خلاف في العادات النطقيّة بين البادية والحاضرة، فالحضري متأنٍّ في نطقه متحكّمٍ بنغم صوته ونبره، بحيث تبرز انفعالات معيّنة أو تخفيها، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل ينعكس تفكيره على العلاقات اللغوية ذاتها، ونمثّل لذلك بنصب الحجازيّين للمستثنى في حال الاستثناء المنفي المنقطع، حيث كرهوا أن يبدلوا الآخر من الأوّل فيصير كأنَّه من نوعه (سيبويه،١٩٧٥م، ج٢،٣١٩). أمَّا البدويّ فسريع النطق، عفويّ، لا يكبح جماح انفعالاته، فيتركها تعبّر عن نفسها في الأصوات، والأساليب التي يستخدمها؛ لذلك تسلك العوامل الحيويّة سلوكًا مختلفًا بين البادية والحاضرة، كعامل السهولة أو الخفّة، فالبدوي المتسرّع يكون تخفيفه بالحذف والإمالة والإتباع والإدغام (يعلل الدكتور إبراهيم أنيس الإدغام بسرعة النطق الذي يميز البيئة البدوية في كتابه اللهجات العربية (أنيس، ١٩٧٣م، ٧١و٧٢).

غير أنَّ السهولة والخفّة في الحاضرة تكون باختيار أصوات سهلة النطق، وتشكيلات صوتيّة خفيفة على اللسان وقد وُصفت قريش التي تمثّل البيئة الحضريّة بأنَّها: "أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا، وأكثرها إبانةً عمّا في النفس" (السيوطي: ١/ ٢١١). وأيضًا تستخدم الحذف والإتباع، ولكن بقلّة، هكذا اكتشف القدماء عاملًا مهمًا من عوامل تكون اللهجات هو: عامل الاختيار، وهو عامل حضاري يؤدّي إلى تكوين لهجات خاصّة بطريقة واعية عن طريق اختيار الأصوات، والتشكيلات الصوتيّة، والتحكّم بالنبر والتنغيم، وإيجاد علاقات جديدة بين المعاني والألفاظ، ويمكن عدّ اللهجة القرشية نموذجًا للهجات التي لعب في تكوينها الاختيار دورًا كبيرًا، كما نستنتج من كلام الفرّاء وفقًا لما جاء في المزهر (السيوطي: ١/ ٢٢٨).

وبالاصطفاء اللغوي، يموت كثير من الألفاظ، وتتقلّص مساحة انتشار ألفاظ أخرى نحو الانقراض في الغالب، والقدماء من العرب

لم يهملوا هذا الموضوع، فقد تحدّثوا عن: الغريب، والنادر، والوحشيّ، والشارد، والضعيف، والمذموم، والمنكر، والمتروك، والرديء، والميّت، والمستغنى عنه، والمصطلحات السابقة، إمَّا أنْ تعني انقراض اللفظ مثل: الميّت، والمستغنى عنه، والمتروك، أو محدوديّة استخدامه كما في باقي المصطلحات.

وعلى الرغم من غموض المصطلحات السابقة، حيث لا نعرف بدقة الفرق بين المنكر والرديء والضعيف والنادر والغريب، أو إذا ما كان التقييم عامًّا أو فرديًّا[1]، فإنَّا نستطيع أنْ نضعها في زمرتين هما: الألفاظ المقبولة ،مثل: الغريب والنادر، والشارد، وألفاظ غير مقبولة وهي ما تبقّى، وقد يكون النادر مستنكرًا في تقييم بعض اللغويّين، فالأصمعي أنكر (هي زوجتي)، وسمع: (فبكى بناتي شجوهن وزوجتي) لعبدة بن الطيب فلم ينكر، قال القالي: قال الأصمعي: لا تكاد العرب تقول (زوجته) (القالي:١/ ٢٠)، وقال أبو عمرو: أكثر العرب يقول: (تلك، وتيك) لغة لا خير فيها (السيوطي: ١/ ٢٢٥). فاللغويون راقبوا حركة انحسار استعمال بعض الألفاظ، ومن ثمَّ انحطاطها عن مرتبة القياسيّ الأكثر قبولًا في التقييم العام كما لاحظوا بقايا اشتقاقات من بعض الألفاظ المنقرضة بالموت، أو بالإهمال، أو الاستغناء، ومن هذه الملاحظات عند الخليل:

١- مات فعل (العندأوة) فلا يدري أمن عندى يعندي أم من عدا يعدو (الفراهيدي ١٤٠٥هـ: ٣/ ٢١٥).

٢- مات فعل (العبودة) فلا يقال: عبُد، أي: صار عبدًا (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٣/ ٤٨).

٣- مات فعل (دره) فلم يبق منه سوى (مِدْرَه) إذ يقولون: فلان مِدْرَهُ حرب، وهو مِدْرَهُ قومٍ، أيْ: المدافع عنهم (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ٢٤).

٤- مات فعل (هاتى يهاتي) ولم يبق منه سوى (هاتِ) في الأمر، وقد جاء في الشعر: (لله ما يعطي وما يُهاتي) (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ٨٠).

(١) تناول هذا الموضوع بالتفصيل قاسم خليل حسن القواسمة في بحثه (طعن النحاة واللغويين في لغات العرب) رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٧م.

٥- موت الفاعل والمفعول من (خرق) فلم يبق إلَّا (الخريق) وهي الريح الباردة الشديدة الهبوب (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ١٤٩).

٦- (الأيس) كلمة قد أُميتتْ (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٧/ ٣٣).

وجاء عن الكسائي:

١- محبوب من (حببت) وكأنّـَها لغة ماتت كما قالوا: دمتُ أدوم، ومت أموت، وكان الأصل أنْ يقال: (أمات)، و(أدام) في المستقبل إلَّا أنـَّها تركت (السيوطي: ١/ ٢١٩).

أمَّا سيبويه فقد جاء في كتابه:

١- جاء من رفع رفيع، ولكنّهم لم يقولوا: (رَفُعَ) (سيبويه: ١٩٧٥م، ٤/ ٢٣).

٢- وقالوا: الفقر كما قالوا الضعف، ولم نسمعهم قالوا: فقُر، كما لم يقولوا في الشديد: شَدُد، استغنوا باشتدّ وافتقر، كما استغنوا باحمارّ عن حَمِر (سيبويه١٩٧٥م: ٤/ ٣٣).

٣- استغنوا بترك عن (ودع) (سيبويه:٤/ ٦٧).

٤- استغنوا بذهب عن (انطرد) و(اطّرد) (سيبويه١٩٧٥م: ٤/ ٦٦).

٥- استغنوا بـ: ما أفعل فعله عن (ما أفعله) في بعض الأفعال كقولك: ما أجود جوابه بدلًا من: ما أجوبه. (سيبويه ١٩٧٥م: ٤/ ٩٩).

٦- استغنوا بثلاثة غِلْمة عن (أغلمة) كما استغنوا بـ: فتية عن أنْ يقولوا: (أفتاء) (سيبويه١٩٧٥م: ٣/ ٦٠٣).

٧- استغنوا بثلاثة جروح عن (أجراح) (سيبويه١٩٧٥م: ٣/ ٥٩٩).

٨- استغنوا بصعائد عن (صُعُد) وبعُجُل عن (عجائل) (سيبويه١٩٧٥م: ٣/ ٦٣٧).

٩- استغنوا بعراة عن (عراء) و(عَرايا) لأنهم: "إنَّما يستغنون بالشيء من الشيء حتى لا يدخلوه في كلامهم" (السيوطي:٢/ ٢٧٥).

أبو عمرو بن العلاء: من المتروك الذي ذكره أبو عمرو بن العلاء، مضّني كلام قديم قد تُرك، قال ابن دريد: وكأنَّه أراد أنَّ أمضّني هو المستعمل (السيوطي:٢/ ٢٧٥).

ومن خلال العرض السابق يمكننا أنْ نلخص المشكلات التي واجهها الخطاب الصرفي التعليمي عند القدماء بـالآتي:

١- الخلافات اللهجية: وقد سجل اللغويون العرب القدماء العديد منها في الأصوات والصرف والنحو والدلالة، وتناولها الباحثون بالدراسة، انظر على سبيل المثال (محجازي،٢٠١٠م.)

٢- الاستخدامات الفردية التي تنحرف عن القواعد، الصادرة عن فصحاء العرب، والتي تحتاج إلى تأويل لتخرج عن القاعدة، أو توجد علاقات جديدة بين العناصر اللغوية، وقد التبست هذه الخلافات بالخلافات اللهجية في درس قدماء العرب، واعتبرت أحيانًا لهجات مع أنَّها لا تعدو كونها استخدامًا خاطئًا وانحرافًا عن الصواب، كما غفل اللغويون عن بعض الاستخدامات اللهجية واعتبروها استخدامات فردية وذلك لوقوعهم في بعض الأخطاء المنهجية، وقد دونوا ملاحظات تشير إلى محدودية الاستعمال.

٣- خضوعها للتغيير الناتج عن كونها منطوقة، إذْ تتأثّر بمجموعة من العوامل، كما يتفاوت أثر العامل بين لهجة وأخرى.

٤- تجاور طبقتين أو مرحلتين لغويتين، حيث نجد بقايا مرحلة سابقة في بعض اللهجات: مثلًا بقايا مرحلة ما قبل الإعلال مع مرحلة الإعلال، وذلك بسبب التطوّر الطبيعي الذي تخضع له اللغة.

٥- الاصطفاء اللغوي وما يؤدِّي إليه من الموت أو الاستغناء.

هذه المشكلات قد أربكت الدرس اللغوي العربي القديم، لكنَّها لم تُعق العملية التعليمية، فثمَّة معايير واضحة قبلها فصحاء العرب في القرن الثاني الهجري، وأهمّها معيار كثرة الاستعمال، ومعيار ورودها في قراءة مشهورة، فالمعياران صوتيان يناسبان لغة حيّة، أمَّا المستعمل في نطاق ضيّق فيُحفظ ولا يقاس عليه.

إذن نحن إزاء خطاب واضح موضوعه بنية الكلمة العربية المستعملة الحيّة، وما يطرأ عليها من تغيّرات، وهدفه تعليم قوانين الصرف وتقويم اللسان العربي الذي بدأ الفساد يتسرّب إليهما ممَّا يؤثّر في فهم الكلمة القرآنيّة، ولا يمكن أنْ نفهم هذا الخطاب إلَّا إذا أعدناه إلى زمنه، وفهمنا الزمن و السياق الذي نشأ فيه، فذلك يفهمنا الإستراتيجية المتّبعة في إيصال هذا

الخطاب، وتحقيق الهدف، هذه الإستراتيجية القائمة على تحديد الهدف وتحديد الأدوات والظروف.

أمَّا علماء الصرف اليوم، فهم قد أخذوا كلمات مكتوبة معزولة عن سياقها وزمنها، من كتب صرف بعيدة عن فترة الاحتجاج -في الغالب -ليخاطبوا بها جيلًا لا يعرف كيف يوظفها؛ لأَنَّه يجهل سياقاتها أو غريب عن سياقاتها، ولأَنَّه يتحدث بلغة مختلفة وضمن شروط تداولية جديدة لا تحتوي ثقافة الكلمات المتضمنة في كتب الصرف، فلا منهج لديهم في الدراسة! فتجميع المعلومات من الكتب ليس منهجًا وإنَّما أداة، أمَّا الدرس الحقيقي فعليه أوّلًا أنْ يعالج أخطاء المنهج القديم بتحديد عيّنة قابلة للضبط والملاحظة، ويمكن أَنْ نأخذ مثلًا النص القرآني المنطوق بقراءة واحدة، ولتكن قراءة حفص عن عاصم، ثم تصنيف الأبنية الواردة فيه، ثم تحليلها، وبعد ذلك استنباط قوانينها لتكون هذه القوانين هي المنظومة التي تبنى عليها اللغة الفصيحة المستعملة اليوم، ففي خطاب أبناء العصر نعمد إلى اللغة التي يقرؤونها ويستعملونها، فنحلّلها ونضبطها، وهذا فقط يشعر المتعلّم الهدف بأهمية ما يتعلّم وضرورته، فيندفع إليه راغبًا في المعرفة دون أنْ يجد الاضطراب والتناقض في دراسته.

وننتهي إلى أنَّ القدماء قد ارتكبوا في دراسة الصرف أخطاء منهجية؛ لأَنَّ مناهج الدرس لم تكن واضحة، فالركام اللغوي كان بحاجة إلى الفرز، مكانيًا وزمانيًا ونوعيًا، إذْ كان عليهم فصل لغة الشعر عن لغة الكلام اليومي، أو عن لغات القراءات القرآنية، لكنَّهم درسوا لغتهم التي كانوا يسمعونها ويستعملونها، أمَّا نحن فماذا ندرس؟ لغة لا تنتمي إلينا – في كثير من الأحيان-ولا نتفاعل معها.

علينا أنْ نطوّر خطابنا الصرفي الذي نفعّل فيه بنية الكلمة العربية في رصيد المتعلّم المعرفي، خطاب نصوغه من واقعنا وزمننا حتى نتمكن من إيصال أثره إلى المخاطب وإقناعه بأهميته.

المصادر

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد، *النشر في القراءات العشر*، تحقيق: علي محمد الضباع، مصر، المكتبة التجارية، دون تاريخ.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)، *كتاب جمهرة اللغة*، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن زنجلة، أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد، *حجة القراءات*، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، *لسان العرب*، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ) *معجم تهذيب اللغة*، تحقيق: د. رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، *الكتاب*، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥م.

السيوطي، جلال الدين، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، دون تاريخ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، *كتاب العين*، تحقيق: د. مهدي المخزومي-د. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم، ١٤٠٥هـ.

القالي، أبو علي، *كتاب الأمالي*، دمشق، دار الحكمة.

المراجـــع

أنيس، د. إبراهيم، *في اللهجات العربية*، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

الحملاوي، الأستاذ الشيخ أحمد، *كتاب شذا العرف في فن الصرف*، ط١٢، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٥٣هـ.

الخطيب، د. عبداللطيف محمد، *المستقصى في علم التصريف*، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

الضامن، د. حاتم صالح، *الصرف، كلية الدراسات الإسلامية والأدبية*، دبي. الكويت، ٢٠١٠م.

ياقوت، د. محمود سليمان، *الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم*، مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٩٩م.

رسائل جامعية:

العلواني، د. نسرين عبدالله شنوف، *أطروحة دكتوراه*، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.

القواسمة، قاسم خليل حسن، *طعن النحاة واللغويين في لغات العرب*، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة. ٢٠٠٧م.